جامعة كربلاء
كلية العلوم الإسلامية
دراسات اسلامية معاصرة / العدد 47 / آذار 2026

البنية الثقافية في القصص القرآني الآيات المتعلقة بالأنثى مثالً

The cultural structure in Quranic stories: Verses related to women as an example

فاطمة عبد الحميد محمد مهدي
Fatima Abdul Hamid Muhammad Mahdi
أ.د أمجد حميد عبد اللّه
Prof. Dr. Amjad Hamid Abdullah

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية
University Of Kerbala / College of Islamic Sciences

الملخص:

هذا البحث هو بحثٌ مستلٌ من رسالة الماجستير الموسومة بـ (شخصية الأنثى في القصص القرآني –دراسة بنيوية تكوينية–) حيث نجد أن البنية الثقافية في هذا البحث كانت ترتكز على العقيدة الدينية وعلاقة الشخصية بهذه العقائد. ومن خلال هذا البحث تحاول الباحثة تبيان البنية الثقافية وفق هذا المنظور مستعينة بتحليل بعض النصوص القرآنية المتعلقة بالأنثى وقد ختمت البحث ببعض النتائج التي توصلت إليها الباحثة. والله ولي التوفيق.

Abstract:

This research is a research extracted from the master's thesis (tagged with the female character in the Qur'anic stories) where we find that the cultural structure in this research was based on religious belief and the relationship of the personality to these beliefs. The Qur'anic texts related to the female, the research concluded with some of the researcher's findings, and God is the Grantor of success.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين..

وبعد..

إنَّ البنية الثقافية كان لها الدور الفاعل في شخصية الأنثى ولا سيما من جانبها العقائدي فقد كان البحث عن عقيدة المجتمع لهذه البنية وما لها الأثر الكبير على شخصية الأنثى وقد طبقتها الباحثة على مجموعة من الآيات القرآنية التي تخص هذه الشخصية.

وقد شمل البحث نبذة عن تعريف البنية الثقافية وبعض التطبيقات التي تخص شخصية الأنثى، سُبق بمقدمة وأُعقب بخاتمة وأبرز المصادر والمراجع.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الباحثة

الثقافة لغة: جاء في معجم العين ثقف "أي خلٌ ثقيفٌ قد ثقف ثَقافةً. والثَّقْفُ مصدر الثَّقافة، وفعله ثَقِفَ إذا لزم، وثَقِفْتُ الشيء وهو سرعة تعلمه. وقلب ثَقْفٌ أي سريع التعلم والتفهم"[1]. أما ما جاء في معجم جمهرة اللغة قوله: "ثقفت الشَّيْء أثقفه ثقافة وثقوفة إِذا حذقته وَمِنْه أخذت الثقافة بِالسَّيْفِ"[2]. ففي كلا التعريفين جاء بمعنى الحاذق الفطن.

أما في **الاصطلاح** فقد تعدد التعريفات لبيان هذا المصطلح التي تمحورت حول جانبها التطبيقي، وتصنيفها ضمن عدة جوانب ومنها:

1- **تعاريف تاريخية:** وترتكز على التراث الاجتماعي لمجموعة من البشر على مر تاريخهم.

2- **تعاريف سيكولوجية:** والتي من خلالها تمكِّن الإنسان من الانسجام مع بيئته ومجتمعه.

3- **تعاريف بنيوية:** التأكيد من خلالها على الأسس البنيوية التي سادت في المجتمعات طوال تاريخه.

4- **تعاريف تفصيلية:** من خلالها بيان العناصر التي تقوم بها الثقافة بشكل عام دون أن تقييدها بشيء[3].

وقد استطاع عالم الأنثروبولوجيا البريطاني (إدوارد تايلور) وضع تعريف عام شامل حيث وسَّع نطاق الثقافة إلى أقصى حد، يقول: "هي الوحدة الكلية المعقدة التي تشمل المعرفة والإيمان والفن والأخلاق والقانون والعادات، بالإضافة إلى أي قدرات وعادات أخرى يكتسبها الإنسان بوصفه عضوًا في المجتمع"[4]. وعرَّفتها منظمة اليونسكو في مؤتمرها الخاص بالثقافة: "الثقافة بمعناها الواسع يمكن أن ينظر إليها عل أنَّها جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعًا بعينه أو فئة اجتماعية بعينها وهي تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات"[5]. وبهذا تختلف الشعوب عن بعضها بسبب اختلاف في العقيدة والتقاليد والقيم والاتجاهات الفكرية.

ومع التقدم في علم الأنثروبولوجيا قدم علماء آخرون تعريفات حول الثقافة، ومنهم كروبر وكلايد كلوكون إنَّ الثقافة تتراوح بين كثير من المفهومات منها: **(السلوك المثقف)** إلى **(الأفكار في العقل)** إلى **(التركيب المنطقي)**، إلى **(آلية الدفاع النفسية)** وما إلى ذلك. إلا أنَّ التعريف المفضل عندهما وعند غيرهما من العلماء هو أنَّ الثقافة (علمية تجريدية) وبعبارة أدق (تجريد مستخلص من السلوك)، وبذلك استنتجا بأنَّ الثقافة هي تجريد مأخوذ من السلوك الملموس ولكنها ليست سلوكًا بذاتها. فعندما يُنظر إلى الأشياء والأحداث في سياق علاقاتها بالكائن الإنساني، فهي تؤلف السلوك؛ وعندما يُنظر إليها ليس من خلال علاقتها بالإنسان بل علاقتها بعضها ببعض فهي تصبح ثقافة[6].

ولم يقتصر مفهوم الثقافة على تعدد تعريفاتها وتتابع الدراسات عنها، بل ظهرت تخصصات عديدة تُعنى بدراستها ومنها علم الثقافة والذي يرى أنَّ الثقافة مسألة قائمة بذاتها، وعلم الثقافة الأنثروبولوجي الثقافية حيث يُركز على دراسة الثقافة وعناصرها وسماتها، بالإضافة إلى ظهور كثير من المفاهيم ذات العلاقة بالثقافة كالتراكم الثقافي والتغيُّر الثقافي والصراع الثقافي والاتصال الثقافي والتطور الثقافي والتكامل الثقافي. وطرق الحياة التي تحياها المجتمعات البشرية فهي تمتلك مجموعة من القيم والمبادئ والعادات والتقاليد، وتمتلك مهارات ونتاجات فكرية ويدوية ونظم اجتماعية كل هذا يُطلق عليه بالثقافة. فالثقافة هو كل ما يتعلمه الإنسان وهو نمط للسلوك الإنساني يتبعه أعضاء المجتمع، إضافة إلى كونها نمطًا من الأفكار التي تدعم ذلك السلوك، فكل عنصر من عناصر الثقافة يتضمن سلوكًا[7].

وهناك علاقة وثيقة بين الثقافة والمجتمع، فالثقافة لا توجد إلا بوجود المجتمع، ثم إنَّ المجتمع لا يقوم ويبقى إلا بالثقافة، والثقافة طريق متميز لحياة الجماعة، ونمط متكامل لحياة أفرادها، فالثقافة هي التي تمد المجتمع بالأدوات اللازمة لاطرَّاد الحياة فيه، إذ تؤدي الثقافة دورًا مهمًا في حياة الإنسان، بل هي جزء مهم في حياته كونه عضواً في مجتمع، فالثقافة بصفة عامة تساعد على التمييز بين فرد وآخر، وبين جماعة وأخرى، وبين مجتمع وآخر، بل إنَّها تميز الجنس البشري عن غيره من الأجناس، لأنَّ الثقافة هي الصفة الإنسانية في الجنس البشري. فالثقافة عنصر لا غنى عنه في الدراسة التي تهدف إلى التعرف على الحياة الاجتماعية للناس، وتفسيرها

وفهمها[8].

إنَّ استمرارية نمط الحياة تعتمد على وجود علاقة تساندية متبادلة، بين تحيز ثقافي معين ونمط محدد للعلاقات الاجتماعية. تلك التحيزات والعلاقات لا يمكن الخلط والتوفيق بينها معًا، فأي تغير في طريقة إدراك الفرد للطبيعة المادية والإنسانية يؤدي إلى تغيير في مدى السلوك الذي يستطيع الفرد تبرير الأخذ به، ويستمر نمط الحياة في البقاء فقط إذا طبع أفراده بالتحيُّز الثقافي الذي يبرر هذا النمط، وعليه يجب عليهم أن يتفاوضوا حول مجموعة القيم والمعتقدات القادرة على دعم هذا النمط[9].

وقد انشطر مصطلح الثقافة من حيث البنية الاشتقاقية إلى ثلاثة مصطلحات تنتظم الثقافة الاجتماعية في حالة الثبات وفي حالة الحركة، هي: التحيُّز الثقافي، والعلاقات الاجتماعية، ونمط الحياة. فمصطلح الثقافة كان بعيدًا عن النقد والأدب، ولم يشتغل عليه سوى علماء الاجتماع والانثروبولوجيا، لذلك دخلت كلمة الثقافة النقد باعتبارها الأنساق والقيم والمعاني التي تُشكل الكائنات الإنسانية وتحيا داخلها، لذلك عمل ويليامز على أن يكون ما هو ثقافي وما هو سياسي جنبًا إلى جنب، فالثقافة عند ويليامز مفيدة لتحليل البنى الاجتماعية والثقافية، لذلك ينبغي الربط بين الثقافات والنصوص وسياقاتها السياسية والاجتماعية، فتكون إلى جانب المهمة التاريخية والسياسية المهمة الجمالية التي تسير جنبًا إلى جنب معهما[10].

والقرآن الكريم هو بالأساس جامع لكل الثقافات العقائدية والمعرفية، وهو أجل وأشمل من أن يقتصر على علمٍ أو مجالٍ واحد؛ فهو منهج إلهي شامل لجميع المعارف الدينية والدنيوية، والقرآن الكريم هو نظام حياة كاملة في جميع قطاعاتها المادية والروحية، إنَّه يدعو إلى العلم والعمل والتطور والنهوض.

والثقافة الإسلامية تختلف عن غيرها من الثقافات الأخرى التي قامت على أسس دينية وعقائدية في بنائها الثقافي، وهي ترفع قدر من يتمسك بها وهي سبب النصر والظهور والتمكين والثقافة الإسلامية تمنح أهلها الراحة النفسية والفكرية فهي تعصم المتمسك بها من القلق والاضطراب الفكري، لأنَّها تصله بالله تعالى فتطمئن النفس الإنسانية إلى خالقها وترتاح لذكره وتأنس الجوارح بعبادته، فتحصل لها السكينة والاطمئنان والسعادة وتحدث تأثيرًا في السلوك والأخلاق[11].

فالتركيز في هذا المبحث على البنية الثقافية التي تختص بالعقيدة وذلك بسبب خصوصية النص القرآني وعدم خضوعه للنظريات الثقافية الأخرى. وهنا اعتمدت الباحثة في مجال البنية الثقافية على نمط الحياة وسر حركتها في القرآن الكريم ومحور ذلك هو العقيدة الإسلامية بكل تفاصيلها، فالأصل هو العقيدة ثم بعد ذلك يأتي كل شيء.

ويمكن تطبيق البنية الثقافية في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: **{وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ*فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ}**[12]. إنَّ الملائكة لمَّا جاءت في هلاك قوم لوط قالوا: إنَّا مهلكو أهل هذه القرية فعجبت سارة زوجة النبي إبراهيم(عليه السلام) من قلتهم وكثرة أهل القرية، قالت ومن يطيق قوم لوط، فبشروها بإسحاق وبعدها يعقوب فوقفت مندهشة من هذا الخبر فصكت وجهها أي غطته لمَّا بشرها جبرئيل بإسحاق، في

صرة : أي في جماعة، وهي يومئذ ابنة تسعين سنة وإبراهيم (عليه السلام) ابن عشرين ومائة سنة، فقالت: كيف ألد وأنا عجوزٌ عقيم؟ فالمرأة بعد سن الخمسين لا يمكن أن تُنجب فكيف بسن التسعين![13].

ففي هذه الآية المباركة بشارة الملائكة لإبراهيم (عليه السلام) وزوجه بالذرية في هذا العمر وفي حال عقم زوجته، فرصدَ القرآن الكريم حركاتها، بكل ما فيها من ذهول وحيرة لعظيم الحدث الذي ألقيَ إليها، وهو ما جرى على غير العادة، فحركة صك الوجه يصور حالة من التعجب والدهشة فهذا الخبر غير المتوقع بل من المستحيل أن تصدقه أي امرأة في موقفها هذا جعلتها تقوم بهذه الحركة لا إراديًا، وفي الحقيقة هذا هو المتوقع منها فعادة النساء يفعلنَ هذا حين يتعجبن من شيء وهذه تعتبر ضمن ثقافات معينة يقمن بها النساء عند سماعهن خبر غير متوقع الحصول.

والصكُّ على الوجه حركة تلتقي فيها اليد مع الوجه وتضربه ضربًا شديدًا، وغالبًا ما يحدث هذا الشيء عندما يتلقى المرء خبر موت أحدهم أو عند سماع كوارث مُعينة غير متوقعة، ويكون هذا التصرف أكثر عند النساء مع مصاحبة هذه الحركات عبارات تنم عن الجزع فتزيد من قوة الأداء اللغوي وتأثيره[14]. ففي هذه الآية المباركة نسق مضمر، والأنساق المضمرة في طبيعة الحال تكون في لا وعي المبدع فهي متغلغلة في ثقافته وذهنه، ورأينا هذا في موقف سارة زوجة النبي (عليه السلام).

وفي سياق آخر قوله تعالى: **{ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}**[15].

ونلحظ في هذه الآية المباركة بنية ثقافية وهي تتمثل بشخصية امرأة فرعون فهي شخصية من طبقة اجتماعية رفيعة فهي زوجة ملك مصر وقائدها، وذات حسب ونسب وجاه، وهذه الصفات جعلتها تختلف من حيث مكانتها الاجتماعية عن بقية النساء، وبالرغم من تعدد هذه الصفات والمميزات إلا أنَّها كانت لا تطيق العيش في هذا القصر وتفضل بيتًا من الجنة على هذا القصر الفخم، لأنَّها تريد القرب من الله (عز وجل)، وتريد أن تنجو من هذه الفئة الظالمة الكافرة، واستجاب لها ربها وجعلها من أفضل نساء العالم، عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلَّم): " **أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسيا بنت مزاحم امرأة فرعون**" وإنَّها كانت ترجو بناء بيتٍ في الجنة لتحقيق بعدين ومعنيين: المعنى المادي الذي أشارت إليه بكلمة **(في الجنة)** والبعد المعنوي وهو القرب من الله **(عندك)** وقد جمعت في عبارة موجزة[16].

فإيمانها وعقيدتها بالله(عز وجل) هو العنصر الأساس لتحديد معالم هذه الشخصية والحكم عليها فاكتسبت امرأة فرعون صورة المؤمنة الرافضة لسلطان المال والمُلك، فساواها القرآن الكريم بضرب المثال مع مريم (عليها السلام)، ولعلَّ التقريبُ بينهما ناتجٌ بسب كفالتهما نبيين من أنبياء الله تعالى، وتمثل دور امرأة فرعون في مساعدة موسى والمحافظة على حياته، حيث اعترضت على فرعون حينما أراد قتل موسى(عليه السلام) في قوله تعالى: **{وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ}**[17]، فيدلُّ موقفها هذا عن شخصية قوية ذات تفكير سليم، لا تشك في مكانتها لدى الملك، ولا يكشف قولها عن رجاحة في العقل فحسب بل يُضيءُ جانبًا إنسانيًا في الشخصية وهو عطف المرأة على الطفل وإن لم يكن ابنها، وتُصنَّف شخصية أم موسى

وامرأة فرعون على محورين دلاليين مختلفين من حيث البعد الاجتماعي فإحداهما تنتمي إلى الفئة المستضعفة، والأخرى إلى الطبقة الحاكمة الظالمة، وهو وضع ينتج تقابل الفقر والغِنى ولكنه يظهر في صورتين مختلفتين تمامًا فارتبط البعد الاجتماعي بالبعد النفسي والثقة بالنفس فقد تزعزع إيمان أم موسى لشدة جبروت فرعون وبطشه وعدم رأفته بالصبي إن وقع بين يديه، في حين تواجه امرأة فرعون الطاغية وتطلب منه بعدم إيذائه، أما من حيث الأدوار الغرضية فنجد أنَّ الشخصيتين تتفقان في الحفاظ على حياة الطفل والخوف عليه[18].

وقوله تعالى: **{وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى*قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى*قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى*فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى*قَالَ خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى}**[19].

في بداية النص المبارك سؤال استفهامي **(ما تلك)** والإشارة تعود إلى العصا، فالعصا معروفة من المؤنثات السماعية، فالإشارة بـ **(تلك)** إلى العصا لا بداعي الاطّلاع على اسمها وحقيقتها بل ذكر أوصافها فأخذ يذكر اسمها ثم أوصافها وخصائصها، فكان جوابُ موسى (عليه السلام) في قوله تعالى: **(قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى)**، فالتوكأ والاتكاء يعني الاعتماد عليها في جميع أموره، والهش هو خبط ورق الشجرة وضربه بالعصا لتساقط على الغنم فيأكله، ومآربه فيها تعلُّق حوائجه بها من حيث إنَّها وسيلة رفعها[20].

وقد وردت أحاديث عن أهل البيت (عليهم السلام) بخصوص العصا ومنها: عن مُجاشع عن مُعلَّى عن محمد بن الفيض، عن الإمام أبي جعفر (عليه السلام) في شأن العصا، قال: (كانت عصا موسى لآدم، فصارت إلى شعيب، ثم صار إلى موسى بن عمران، إنَّها لعندنا، وإنَّ عهدي بها آنفًا، وهي خضراء كهيأتها حين انتزعت من شجرتها، وإنَّها لتنطِق إذا استُنطِقت، أُعدَّت لقائمنا (عليه السلام)، يصنع بها ما كان يصنع بها موسى(عليه السلام)، وإنَّها لتُروّع وتلقفُ ما يأفكون، وتصنع ما تُؤمر به، إنَّها حيث أقبلت تلقفُ ما يأفكون، يُفتحُ لها شعبتان: إحداهما في الأرض، والأخرى في السقف، وبينهما أربعون ذراعًا، تلقفُ ما يأفكون بلسانها)[21]

عن علي بن أسباط، عن محمد بن الفُضيل،عن أبي حمزة الثُمالي، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: سمعته يقول: (ألواحُ موسى(عليه السلام) عندنا، وعصا موسى عندنا، ونحنُ ورثةُ الأنبياء)[22].

ففي هذه الأحاديث الشريفة التي تدل على أنَّ العصا هي شيء متوارث عند الأئمة والأنبياء (صلوات الله عليهم) وتعدُّ أيضًا سمة ثقافية لدى المجتمعات، والدليل على أنَّ العصا مأخوذ من أصلٍ كريم ومعدن شريف اتخاذ نبي الله سُليمان (عليه السلام) للعصا في خطبته وموعظته، ولمقاماته، وطول صلاته ولطول التلاوة والانتصاب، حتى عند وفاته (عليه السلام) كان متكِئًا عليها ولا عُلم لوفاته إلا عندما أكلت عصاه دابة الأرض وذلك في قوله تعالى:**{ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلا دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ}**[23] والمنسأة: هي العصا[24].

وللعصا مكانة كبيرة عند العرب وفي تراثهم العربي، فهي تعبِّر عن تاريخ العرب وثقافتهم، وترتبط بأبعاد سياسية واجتماعية ودينية وأنثروبولوجية تُبين حضورها الرمزي في الذاكرة الجماعية، وحضورها الفعلي في الماضي لتعبر عن السلطة والجاه من جهة، ونمط العيش والثقافة من جهة أخرى. وقد كان للعصا حضور قوي

في المحيط البدوي والنظام القبلي فهي تُرافق راعي الغنم وسيّد القوم والمسافر في الصحراء، فلم تكن العصا مجرد عصا بل أكثر من ذلك فهي أداة للقتال والدفاع عن النفس، والعصا في تاريخها الطويل أداة للسيطرة والهيمنة فقد أراد الخطباء أن تكون لهم معينًا وسندًا، تساعدهم على إبلاغ رسالتهم والإقناع بها، فهدف الخطيب هو التأثير على المستمعين وشد انتباههم واستمالة قلوبهم وعقولهم بحججه الدامغة الصلبة صلابة العصا التي يمسكها بيده، وكأنَّ العصا هي التي تحدثهم بقدر ما يحدثهم صاحبه فيخشونه ويخشونها وهكذا تجتمع لدى الخطيب سلطة الكلام وسلطة العصا ومثله يفعل مؤدب الصبيان ومعلمهم[25].

وقوله تعالى في نصٍ قرآنيٍ آخر: **{وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ}**[26]. في هذه الآية بنية ثقافية نجدها في شخصية زوجة العزيز، وهو أحد كبار مصر ووجهائها، وله ولزوجته مكانة في المجتمع، فهي تعدُّ من الطبقات النبيلة في مصر، فقد أُعجبت بجمال (يوسف) وحسن بهائه واستهوته، فكانت من عادات الملوك ووجهاء القوم يفعلون ما يشاؤون بالعبد المملوك وعليه الاستماع والطاعة فقط، فشُغفت حبًا بهذا الغلام وأرادت الخلوة معه في مضجعها، لكنَّه رفض هذا الشيء، لأنَّ يوسف (عليه السلام) وثقافته التي تربى عليها وكونه نبي وابن نبي لا يُسمح له فعل هذه الأشياء المحرمة معها، وإنَّه استكبر واستنكر أنْ يمتثل لما تدعوه إليه وأنَّ هذا الشيء يتعارض أخلاقيًا مع ما انفتحت عليه عيناه في بيئته الأولى من مكارم وقيَم ومُثل عُليا كالوفاء والمروءة[27].

وفي نصٍ آخر قوله تعالى:**{ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلالٍ مُبِينٍ}**[28].

والمراودة: هي أن تراود شخص عن نفسه إذا حاول كل واحد من صاحبه الوطء والجماع، كما في قوله تعالى: **(تراود فتاها عن نفسه)** فجعل فعل المراودة لها، وراودته على أمر مراودةً وروادًا أي أردته[29].

أما الشغف: " الشين والغين والفاء كلمة واحدة، وهي الشَّغاف، وهو غلاف القلب وشغفها حبا معناها وصل الحب إلى شغاف قلبها"[30]، وقد حجبها حبه عن الناس فلا تعقل ولا ترى غيره، وكانت زليخا مغلوبة بالنفس والشهوة وضعف إيمانها، وكانت شهوتها هي التي تشجعها في التكليف على يوسف (عليه السلام). وكانت عقيدتها التي ترى بأنَّ الخادم يلبي كلّ احتياجات سيده فاعتقدت هنا أنَّها سوف تحظى بالنبي يوسف(عليه السلام).

بعدما راودت امرأة العزيز فتاها عن نفسه شاع الحديث بين النسوة عن هذه الحادثة، وبدأنَ بالحديث عن تعلُّق سيدة القصر ذات المقام الاجتماعي الرفيع بمملوكها الذي اشتراه زوجها بثمن زهيد، واكتوائها بنار حبه، وتهالكها في بذل نفسها له، فكانت النسوة ترى أنَّ هذا الفعل لا يليق بامرأة كامرأة العزيز وهي من أشراف القوم وساداتهم، بالإضافة إلى عقيدتها ودينها التي تربت عليهما، لذلك كُنَّ يرينَ أنَّها في ظلال مبين، فرؤية النسوة كانت سطحية فهُنَّ يرينَ ظاهر الأمر، ولا يعلمنَ ما تعانيه امرأة العزيز من الوجد والشوق الذي تكنُّه ليوسف(عليه السلام).

إنَّ زليخا أمام صراع قوي بين حبها ليوسف وبين معاندته لها، وماذا تصنع كي تفوز بقلبه ويخضع لها ويهيم بحبها، ترى أنَّ يوسف أولى بحبها، وعندما أدركت الحديث الذي يُراد به النيل منها ومن شأنها فكرت في

طريقة تتيح لها اطلاعهنَّ على محنتها التي تعانيها، لتلمس العذر لها، وتشفي غيضها منهنَّ، فأقامت لهُنَّ مأدبة طعام ووفرت لهنَّ كل وسائل الراحة والانبساط، فقدمت لهنَّ الفواكه ومعها سكينًا وأمرت يوسف بالدخول عليهُنَّ عندما رأينه أكبرنَه وقطَّعن أصابعهن وبذلك عذرنَ زوجة العزيز عمَّا فعلته مع يوسف، لأنهنَّ انبهرن بجماله الأخاذ وقلن إنَّه ليس ببشر بل هو ملك كريم، لحسنه وبهائه، في قوله تعالى:**{ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلا مَلَكٌ كَرِيمٌ}**[31]. بذلك نجحت خطة زليخا من تبرئة نفسها أمام نسوة مصر والتخلص من مكرهنَّ، واعترافهنَّ بجمال يوسف وعدم إلقاء اللوم على زُليخا بل ومساعدتها أيضًا في إقناع يوسف(عليه السلام) إلى الرضوخ والاستسلام لها. كل تلك الأحداث والوقائع كانت بمثابة بنية ثقافية تسعى إلى بيان عقيدة كل فئة في المجتمع وتوضح العقائد التي سار عليها أهل البيت (عليهم السلام) وعقيدة المجتمع الذي كان يُحيط بهم.

وفي نصٍ آخر قوله تعالى: **{ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا* قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا* قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا}**[32].

بلغت مريم العذراء (عليها السلام) مكانة سامية، فصارت محدَّثة تحدثها الملائكة، وهي في محرابها تتعبد كالعادة أرسل الله إليها جبرئيل (عليه السلام) بهيأة بشر، فخافت وفزعت منه وأراد أن يطمئن قلبها فقال لها، في قوله تعالى:**(قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا)**، فألقى نبأ البشارة إلى مريم (عليها السلام) فالملائكة تحدثت مع مريم وهي عذراء وبشرتها بالمولود وهو ذكرًا واسمه المسيح وذا مكانة عالية في الدنيا والآخرة وولادته تكون خارقة للعادة أي أنها تولد صبي بدون أب، وكذا تكلمه في المهد[33].

هنا ظهر البعد النفسي واضحًا لشخصية مريم (عليها السلام) فكان تصوير لشتى الانفعالات والعواطف التي كانت تدور بداخل مريم (عليها السلام)، فهناك مشاعر الخوف والحياء والخجل عند دخول الملك عليها وبشارتها بحمل مولود في أحشائها، والقلق والخوف من الفضيحة التي ستواجهها، كما حصل صراع داخلي في نفسها لحظة الولادة وتمنيها الموت بسبب الوضع الذي تمر به[34]. فرؤية مريم (عليها السلام) كأي رؤية إنسان عادي تعلم أنَّ المرأة لا تلد إلا إذا كانت متزوجة ويحصل الإخصاب وبذلك يتم الحمل، لذلك كانت متفاجئة من هذا الخبر، لكنها أيقنت بعد ذلك إنَّ قدرة الله العظيمة قادرة على كل شيء لذلك تغيرت رؤيتها، عندها أصبحت رؤيتها ذات طابع ديني يقرر على أنَّ الله قادر على كل شيء إذ يقول للشيء كن فيكون. فكانت عقيدة السيدة مريم (عليها السلام) واضحة من خلال يقينها بالله سبحانه وتعالى وأنَّها أمام اختبار من قبل الله عزّ وجلّ فهي مؤمنة بالله وعقيدتها تدفعها إلى الخضوع لأوامر الله سبحانه وتعالى.

وأيضًا نجد البنية الثقافية من خلال عقيدة أم موسى وما مرَّ بها من مصاعب، في ذلك قوله تعالى: **{وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}**[35]. بلغ إلى أم موسى أنَّ فرعون قد أخذ وليدها وعندما علِمت حزِنت حزنًا شديدًا وبكت، وكادت أنْ تُخبر بخبره، أو تموت، بعدها ضبطت نفسها وتراجعت، وربط الله (عزّ وجلّ) قلبها بالإيمان، والمراد بإفراغ قلب أم موسى هو افراغه من الحزن لعلمها

أنَّها سيكون بخير وسينجو، وذلك لأنَّ الله سبحانه وتعالى أخبرها من قبل بهذا الأمر وطمْأن قلبها، فكيف تكون قلقة بشأنه وهو في رعاية الله (ﷻ) وحفظه، وقطع لها وعدًا بأنَّه سيرجعه إليها وليس ذلك فقط بل يرجعه نبي مرسل من قبل الله (ﷻ)، وغريزة أم موسى تفرض عليها أن تكون قلقة بشأن وليدها الرضيع الذي ألقته في اليم، ولا تعلم إلى ماذا سيؤول مصيره، عندئذٍ وصل إليها خبر أنَّ موسى أصبح في قصر فرعون الذي التقطه من اليم، فزاد ذلك من خوفها على موسى وقد أصبح بين يدي فرعون الذي أمر بقتل جميع المولودين من الذكور من بني اسرائيل، لذلك طلبت من ابنتها أن تذهب إلى القصر وتتقصى أخبار الرضيع، وذلك في قوله تعالى: **{وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ}**[36]، فتقصَّت ابنتها أخاها وتتبعتهُ فكانت تبصرهُ من بعيد دون أنْ يشعر أحد بوجودها، حتى تطمئن على أخبارهِ، والقص: فالقاف والصاد أصل صحيح يدل على تتبع الشيء. من ذلك اقتصصتُ الأثر، إذا تتبعته. يقال: قصصتُ أثره والقَصَصُ الأثر[37]. فقالت أم موسى لأخته اتبعي أثر موسى وأنظري إلى ماذا سينتهي به الأمر، فبدأت بمراقبته عن جنب أي من مكان بعيد دون أن يشعر أحد بوجودها، فرأته عن بعدٍ وقد أخذه خدم فرعون وأرسلوه إلى الملك فرعون[38].

لم يقبل الرضيع أخذ ثدي أي مرضعة من المرضعات التي أرسل إليها فرعون، فاغتمَّ فرعون لذلك الأمر، عندها جاءت الفرصة المناسبة لأخته بأن تظهر وتُبدي المساعدة وبذلك تستطيع إرجاعه إلى أمه، وطبعًا هذه حكمة من الله(ﷻ) بأن يُحرِّم جميع المراضع على الطفل الرضيع حتى يكون سببًا في إرجاع الرضيع إلى إمه، في قوله تعالى: **{وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ}**[39]، فقالت أخته: هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم. وهم له ناصحون؟ فقال: نعم. فأتت بأمها، وعندما وضعته في حِجرها وألقمته ثديها فالتقمه وشرب ففرح فرعون وأهله، وأكرموا أمه، ولكي يتحقق وعد الله إليها بإرجاع موسى إليها، في قوله تعالى: **{ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ}**[40]. وكانت طريقة إرضاعها لولدها بترددها إلى قصر الملك، ولم يكن بإرسال موسى إلى بيتها لكي ترضعه، فالطريقة الثانية تقطع أواصر المحبة بينهما وبين الولد، أما الطريقة الأولى هي التي تؤكد بقائها في قلبهما وقد يؤيد ذلك قول فرعون لموسى (عليه السلام) عند المحاجَّة قوله تعالى: **{ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ}**[41]. وبذلك تحقق الوعد الإلهي ورجع موسى إلى إمه، وردَّه إليها، فالرد : صرف الشيء بذاته أو بحالةٍ من أحواله، يُقال رددتُهُ فارتدَّ. وهذا الرد في الآية المباركة هو صرف الشيء بذاته[42]. لتعلم أم موسى إن الوعد الذي قطعه الله لها قد تحقق، فأم موسى كانت تعلم من قبل أنَّ وعد الله حق، وكانت مؤمنة، وإنَّما أُريد بالردِّ أن توقن بالمشاهدة أنَّ وعد الله حق[43]. وهنا تبينت عقيدة أمّ موسى من خلال صبرها وتحملها على ما جرى لها فكانت صابرة وقوية وهي مؤمنة بالوعد الإلهي الذي قطعه الله لها فثقافة أم موسى اتسمت بالعقيدة التي كانت تؤمن بها.

الخاتمة

1. نجد للأنثى في مختلف مظاهرها (إنسان –حيوان– جماد) حضورًا فاعلًا في البنية الثقافية، سواءً على مستوى عقيدة التوحيد أو العقائد الوثنية إيجابًا وسلبًا.

مثلت البنية الثقافية عرضًا لعقيدة التوحيد والتشريعات المرتبطة بها وكيف أنها تنظِم المجتمعات الإنسانية في نظامٍ عادلٍ ومطمئن، غير أنَّ أكثر ما عرضه القرآن الكريم منها هو أحوال الظلم والبؤس المصاحبة للعقائد الوثنية التي كانت عليها أقوام الأنبياء والمرسلين.

الهوامش:

(1) العين: 5/ 138-139

(2) جمهرة اللغة: 1/ 429.

(3) ينظر: مقالة نشرت في مجلة (فرهنك عمومي) الفصلية ، وحيد حسين زاده: ع 12/ 53.

(4) تأويل الثقافات: 8.

(5) الوجيز في الثقافة الإسلامية: 10-11.

(6) تأويل الثقافات: 9.

(7) ينظر: ثقافة الأطفال: 24-25.

(8) ينظر: نظرية الثقافة: 8-9.

(9) ينظر: المصدر نفسه: 30.

(10) ينظر: الدراسات الثقافية:النشأة والمفهوم، أ. رويدي عدلان، مجلة إشكالات جامعة محمد الصديق بن يحيى جيجل ، م7/ ع1/ 2018م: 9- 10.

(11) ينظر: مفهوم الثقافة الإسلامية وتحدياتها: م.م صباح محمد جاسم ، جامعة ديالى، كلية العلوم الإسلامية، ع24/ مجلة ديالى، 2010م:32.

(12) سورة الذاريات: 28-29.

(13) ينظر: البرهان في تفسير القرآن: 7/ 317-319.

(14) ينظر: بلاغة التصوير بالوجه في القرآن الكريم: د. مها إبراهيم المشيطي، أستاذ مساعد كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية جامعة القصيم، 2012م: 1386.

(15) سورة التحريم: 11.

(16) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: 14/ 299-300.

(17) سورة القصص: 9.

(18) ينظر: البنية السردية في القصة القرآنية: 38-39.

(19) سورة طه: 17-18-19-20-21.

(20) ينظر:الميزان في تفسير القرآن: 14/ 142.

(21) أصول الكافي: 1/ 137.

(22) المصدر نفسه: 137/1.

(23) سورة سبأ: 14.

(24) ينظر: البيان والتبيين: 3/ 21-22.

(25) ينظر: ارتباط العرب تاريخيًا وثقافيًا بالعصا مقال للدكتور محمد الجويلي، مجلة العرب، الاثنين، 25 يوليو، 2016م.

(26) سورة يوسف: 23.

(27) ينظر: القصص القرآني قراءة معاصرة: 2/ 233.

(28) سورة يوسف: 30.

(29) ينظر لسان العرب: 3 /235

(30) معجم مقاييس اللغة: 3 / 195.

(31) سورة يوسف: 31.

(32) سورة مريم: 18- 19- 20.

(33) ينظر: القصص القرآنية ،دراسة ومعطيات وأهداف: 2 / 381- 382.

(34) ينظر: قصة مريم دراسة فنية بلاغية: د. بلقيس محمد الطيب إدريس، استاذ البلاغة والنقد المساعد، كلية آداب والعلوم الإنسانية_ مجلة جامعة طيبة، السنة الخامسة، ع11/ 1437هـ: 20.

(35) سورة القصص: 10.

(36) سورة القصص: 11.

(37) ينظر: معجم مقاييس اللغة: 5 /11. وينظر: المفردات في غريب القرآن: 404.

(38) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: 16 / 13.

(39) سورة القصص: 12.

(40) سورة القصص: 13.

(41) سورة الشعراء: 18.

(42) ينظر: المفردات في غريب القرآن: 192.

(43) ينظر: البرهان في تفسير القرآن: 6 /62. ويُنظر: القصص القرآنية ، دراسة ومعطيات وأهداف: 2 / 34.

المصادر والمراجع

-القرآن الكريم.

1. ارتباط العرب تاريخيًا وثقافيًا بالعصا مقال للدكتور محمد الجويلي، مجلة العرب، الاثنين، 25 يوليو، 2016م.
2. أصول الكافي: للشيخ محمد بن يعقوب الكُليني: منشورات الفجر، بيروت-لبنان، ط1، 1428هـ-2007م.
3. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) للنشر، إيران – قم، مطبعة سليمان زاده، ط1، 1426هـ.
4. البرهان في تفسير القرآن: السيد هاشم البحراني، منشورات الاعلمي للمطبوعات، ط2، بيروت-لبنان ، 1427هـ-2006م.
5. بلاغة التصوير بالوجه في القرآن الكريم: د. مها إبراهيم المشيطي، أستاذ مساعد كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية جامعة القصيم، 2012م.
6. البنية السردية في القصة القرآنية: سورة القصص-قصة موسى(عليه السلام) أنموذجًا: مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة العربية وآدابها ، جليلة بو عبد الله ، جامعة العربي بن مهيدي-أم البواقي- ، كلية الآداب واللغات، 2011م.

7. البيان والتبيين: لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: شرح وتبويب: د. علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت–لبنان، 2002م.
8. تأويل الثقافات. مقالات مختارة: كليفورد غيرتر، ترجمة د. محمد بدوي، مراجعة: الأب بولس وهبة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2009م.
9. ثقافة الأطفال: د. هادي نعمان الهيتي، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، د.ط 1988م.
10. جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت،ط1، 1987م.
11. الدراسات الثقافية:النشأة والمفهوم، أ. رويدي عدلان، مجلة إشكالات جامعة محمد الصديق بن يحيى جيجل ، م7/ ع1/ 2018م.
12. العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي: دار ومكتبة الهلال للنشر، (د.ط)، (د.ت) .
13. قصة مريم دراسة فنية بلاغية: د. بلقيس محمد الطيب إدريس، استاذ البلاغة والنقد المساعد، كلية آداب والعلوم الإنسانية_ مجلة جامعة طيبة، السنة الخامسة، ع11/ 1437هـ.
14. القصص القرآني قراءة معاصرة: د. محمد شحرور، دار الساقي، بيروت–لبنان، ط1، 2012م.
15. القصص القرآنية ،دراسة ومعطيات وأهداف: جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الباقر للنشر ، ط1، قم، 1427هـ.
16. لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي، دار صادر للنشر، بيروت، ط3، 1414هـ.
17. معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د.ط)، بيروت– لبنان، 1979م.
18. المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، ط1، 1412هـ.
19. مفهوم الثقافة الإسلامية وتحدياتها: م.م صباح محمد جاسم ، جامعة ديالى، كلية العلوم الإسلامية، ع24/ مجلة ديالى، 2010م.
20. مقالة نشرت في مجلة (فرهنك عمومي) الفصلية ، وحيد حسين زاده: ع 12/ 53.
21. الميزان في تفسير القرآن: للسيِّد محمد حسين الطباطبائي، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط1، 1997م.
22. نظرية الثقافة ، تأليف مجموعة من الكُتَّاب، ترجمة: د. علي سيد الصاوي، مراجعة: أ.د الفاروق زكي يونس، سلسلة كتب ثقافية ، الكويت، 1997م.
23. الوجيز في الثقافة الإسلامية: همام سعيد، دار الفكر، عمان– الأردن، ط1، 2002م.